المقاصد النصية في سورة الدخان

أ. د مؤيد جاسم محمد

كلية العلوم الإسلامية / قسم اللغة العربية

م.م زاهد حميد عبيد

مديرية تربية النجف

مقاصد – مفاهيم – الشريعة – منهجية – الدخان – يفهم

الملخص :

كانت النصوص القرآنية على على وفق منهجية المقاصد شيئا يكاد يكون جديدا، إذ يعطيه قالباً جديداً ويكون أكثر وضوحا . فكان الهدف من بيان مقاصد سورة الدخان، أموراً عدة من أهمها بيان الحكمة الالهية من النص القرآني، وبيان مقاصد الله عز وجل من كل آية من آياته، إذ نجد التنوع والانتقال من مقصد إلى مقصد وعدم غياب التنسيق والتدرج . وأقدم العذر عن أي خطأ أوزلل فيما سجلته، وأسأل الله التوفيق والتسديد، إنَّه نعم المولى ونعم النصير .

المقدمة :

يعدُّ مفهوم المقاصد من أقل المفاهيم التي اهتمت بها الشريعة وعلماؤها، حتى أصبحت أمراً مهما لبيان المقاصد الالهية من الأحكام الشرعية. وبعد ظهور النظرية النصيَّة، أهتمت بالكثير من الامور التي تناولتها لتحقيق الاهداف التي ترجوها هذه النظرية، وكان من تلك الموارد هي المقاصد، التي جعلت الاساس التي تعتمد عليه في تحليل النص وبيان الأهداف الحقيقية من ورائه.

التمهيد :

وقفة بين يدي السورة

احتوت سورة الدخان على تسع وخمسين آية، استهلت ببيان عظمة القرآن ووقت نزوله وختمت بتيسيره والتذكير به. وموضوعات سورة الدخان كسائر موضوعات السور المكية وسور الحواميم السبَّع وهي (غافر – فصلت – الشورى – الزخرف – الجاثية – الاحقاف – الدخان) تدور معانيها على بيان أصول العقيدة الإسلامية، والتوحيد والنبوة، والرسالة، والبعث، والإخبار عن المغيبات، وذكر قصص الأمم السابقة، وآيات الله الكونية، وذكر الجنة والنار، فصلاً عن حديثها عن الماضي والحاضر، والموت والحياة والسماء والارض والدنيا والآخرة، واختصت بذكر العذاب بالدخان من بين سور القرآن، وبعض الأيام التي تبين أنَّها مباركة، وفيها تقدر الأرزاق وأنَّ للحواميم طابعاً خاصاً، اشتركت فيه، وتميزت سورة الدخان عن غيرها بقصر آياتها، وإنَّ هذه السورة مع قصرها بدأت بالقرآن[1] .

وسبب تسميتها بسورة الدخان " وقوع لفظ الدخان فيها، والمراد به آية من آيات الله أيَّد بها نبيه (صلى الله عليه وآله)، فسميت اهتماما بشأنه[2] . وقال الصابوني سميت الدخان؛ لان الله تعالى جعله آية لتخويف الكفار حيث أصيبوا بالقحط والمجاعة بسبب تكذيبهم للرسول (صلى الله عليه واله) وبعث الله عليهم الدخان حتى كادوا يهلكون، ثم نجاهم الله بعد ذلك ببركة دعاء النبي (صلى الله عليه واله)[3].

أمَّا سبب نزولها، عن ابن مسعود، قال : " إنَّ قريشا لما استعصت على النبي (صلى الله عليه واله) دعا النبي (صلى الله عليه واله) عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى اكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان، فأنزل الله { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ} [سورة الدخان : 10]، فأتى رسول الله (صلى الله عليه واله) فقال : يا رسول الله (صلى الله عليه واله) استسق لمضر، فإنَّها هلكت، فاستسقى فسقوا فنزلت { إِنَّا كَاشِفُواْلْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ }[سورة الدخان : 15] فلما اصابهم الرفاهية عادوا إلى أصلهم، فأنزل الله {يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ }" [سورة الدخان : 16][4].

وعن عكرمة قال : " لقى النبي (صلى الله عليه واله) أبا جهل، فقال: أبوجهل، لقد علمت انَّي امنع اصل البطحاء، وانا العزيز الحكيم، قال : فقتله الله يوم بدر وأذلَّه وغيره بكلمة، ونزل قوله تعالى { ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ }" [سورة الدخان: 49][5].

وقيل من أشراط الساعة، " تدخل في مسامع الكفار والمنافقين ولم يأتِ بعد، وانه يأتي قبل قيام الساعة فيدخل أسماعهم حتى إنَّ رؤوسهم تكون كالرأس الحنيذ فيه، ويصيب المؤمن منه" [6].

والملاحظ من خلال تبيان سبب نزول السورة وجود تضارب في الأقوال، منها ما نسب نزولها إلى زمن مضى من خلال ذكر حادثة الرسول (صلى الله عليه واله) مع قريش ورؤيته الدخان، ومنهم من قال إنَّ الانذار والهلاك بالدخان لم يتحقق بعد، وانَّه من أشراط الساعة التي لا يعلمها إلاَّ الله تعالى، وبذلك وحسب هذا الرأي فان السورة ببعض آياتها تعدُّ فيها من الغيبيات التي ذكرها الله تعالى في كتابه الحكيم . وكذا وقع الاختلاف في تفسير آياتها من حيث اختلاف الآراء فيها . فاختلفوا في كون بعض آياتها مكية وبعضها مدنية . فعدَّها ناصر مكارم الشيرازي مكية عدد آياتها تسع وخمسون آية وهي خامس الحواميم السبعة وهي من السور المكية[7]. وقال الطوسي" وهي مكية في قول قتادة، وهي تسع وخمسون اية في الكوفي وسبع في البصري، وست في المدني

والشامي"[8]. وخالفه في ذلك الصافي بقوله " مكية عدد آياتها تسع وخمسون اية كوفي سبع بصري، تسع في الباقين"[9]. وقال البقاعي الشافعي " مكية كلها اجماعا، قال ابن الجوزي والزمخشري وابو حيان، إلاَّ قوله تعالى {إِنَّا كَاشِفُواالْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ}[سورة الدخان : 15] وآياتها تسع وخمسون في الكوفي، وسبع في البصري، فيما عداها واختلافها اربع آيات { حم} [سورة الدخان : 1] عدَّها الكوفيون ولم يعدَّها البصريون، وقوله { إِنَّ هَؤُلَاء لَيَقُولُونَ } [سورة الدخان : 34] عدَّها الكوفيون ولم يعدها الباقون، وقوله تعالى { إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ } [سورة الدخان : 43] لم يعدَّها المدني والمكي، وعدها الباقون، وقوله تعالى { كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ } [سورة الدخان: 45]، ولم يعدَّها المدني والمكي والشامي وعدها الباقون[10] .

أمَّا صلة السورة بما قبلها وتناسبها لما بعدها فقد نزلت بعد (الزخرف) ومناسبتها لما قبلها من وجوه[11] :

1- أنه تعالى ختم ما قبلها بالوعيد والتهديد، وافتتح هذه بالإنذار الشديد .

2- انه تعالى حكى فيما قبلها قول الرسول (صلى الله عليه واله) يا رب إنَّ هؤلاء قوم لا يؤمنون، وحكى هنا عن أخيه موسى، فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون .

3- انه قال فيما سلف { فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ }[الزخرف : 89]، وحكى هنا عن موسى { وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ، وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ [الدخان :20- 21] وهو قريب من ذلك.

4- – تشابه خاتمة السّورة المتقدّمة ومطلع هذه السّورة، حيث ختمت سورة الزّخرف بالتّهديد والوعيد في قوله تعالى : { فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ }[سورة الدخان 83] فذكر يوما غير معيّن ولا موصوفا، ثم أبان وصفه في سورة الدّخان في القسم الأول منها حيث أنذر تعالى المشركين في قوله { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ }[الدخان : 59][12].

أمّا علاقة سورة الدخان بالسورة التي بعدها، وهي سورة الجاثية، فالذي نلاحظه ما يأتي :

1- في خاتمة الدخان قال {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[الدخان : 58]، {فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ }[الدخان : 59] ذُكرُ للكتاب، وفي سورة الجاثية قوله { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}[الجاثية : 2] الكلام عن الكتاب أيضا.

2- قال في الدخان { لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[الدخان : 58]، وذكر في أول الجاثية ما يدعو إلى التذكّر {إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ }[الجاثية : 3]، {وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}[الجاثية : 20]، {وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }[الجاثية : 5]، بيّن وذكر أموراً تدعوإلى التذكّر .

" قال أبو جعفر عليه السلام من قرأ سورة الدخان في فرائضه ونوافله بعثه الله مع الآمنين يوم القيامة وظلله تحت عرشه وحاسبه حسابا يسيرا وأعطاه كتابه بيمينه" (13) .

وبالإسناد عن ابن البطائني، عن عاصم الخياط، عن أبي حمزة، قال : قال أبو جعفر (عليه السلام) (من قرأ سورة الدخان في فرائضه ونوافله بعثه الله من الأمنين يوم القيامة، وأظله تحت عرشه وحاسبه حسابا يسيرا وأعطاه كتابه بيمينه[14] .

وحين نتحدث عن فضل سورة الدخان، فوردت روايات عدة في فضلها منها ما رواه الصدوق في كتابه قال " قال أبوجعفر عليه السلام من قرأ سورة الدخان في فرائضه ونوافله بعثه الله مع الآمنين يوم القيامة وظلله تحت عرشه وحاسبه حسابا يسيرا وأعطاه كتابه بيمينه. (15) .

وأمّا مدلول لفظة المقاصد النصيّة فقد تناوله صاحب كتاب المصباح المنير بقوله " أصلها من الفعل – ق – ص –د –، يقصد قصدا، والمقصِد من قصد، قصدته ... وهو مصدر ميمي واسم المكان منه، وهو على وزن مَفعِل "[16]، أما في الاصطلاح فنجد ان ابن عاشور ذكر ذلك في كتابه بقوله هي " المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع احوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظاتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغايتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها"[17] .

ومصطلح النص من مصطلحات اللغة، وقصد بمعناه اللغوي " النص : رفع الشيء، نص الحديث ينص نصاً، وكل ما أظهر فقد نص، ونصت الطبيعة جيدها: رفعته، ووضع على المنصة، أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور، والمنصة ما تظهر عليه العروس لتُرى، ونصصت المتاع إذا حملت بعضه على بعض، وأصل النص أقصى الشيء وغايته[18] .

وبذلك فهذا العلم هو فرع من فروع علم اللغة، يقوم بدراسة النصوص سواء كانت منصوصة أو مكتوبة، بطريقة تتنظم معها اجزاء النص وترتبط فيما بينها لتخبر عن ما هو مفيد[19]

(تطبيقات على سورة الدخان)

يمكن أن تكون تطبيقاتنا على سورة الدخان في مقاصدها النصيَّة، التي أرادها الله تعالى في محكم الآيات التي تضمنتها السورة على على وفق مقاصد أربعة :

المقصد الأول : ويمكن الحديث في هذا المقصد حول بداية السورة القرآنية، حيث بدأت السورة بالحروف المقطعة، ومن ثم كانت بداية السورة ونهايتها قد تناولت بيان عظمة القرآن مع بيان نزوله في ليلة القدر أول مرة[20]، وقد كانت حصيلة هذا المقصد ثمانية آيات، وهي على النحو الاتي :

{ حم }[الدخان : 1]،وقوله { وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ}[1] الدخان :2]، وقوله { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ}[الدخان : 3] وقوله {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ}[الدخان :4] وقوله {أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ}[الدحان :5] وقوله{رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوالسَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[الدخان : 6] وقوله {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [الدخان : 58]، وقوله {فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ} [الدخان : 16] .

نلاحظ أنَّ السورة بدأت في حروف مقطعة وهي (حم)، وقد بحث العلماء في الحروف المقطعة ولكن لم يصلوا إلى نتيجة حتمية فيها، بل كانت مجرد طروحات لهم في ذلك، وكانت أقوى الوجوه أنها اسم للسورة[21].

وفي المعاني، بإسناده عن جويرية عن سفيان الثوري قال : قلت لجعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام): يا ابن رسول الله ما معنى قول الله عز وجل : (الم، والمص، والر، والمر، وكهيعص، وطه، وطس، وطسم، ويس، وص، وحم، و حمعسق، ون ؟ قال (عليه السلام)، وأما حم فمعناه الحميد المجيد [22] .

وما روي عن ابن مسعود قول رسول الله (صلى الله عليه واله) (إنَّ الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر)[23] . وقد جمعها ابن كثير قائلا (مجموع الحروف المذكورة في اوائل السور بحذف المكرر منها اربعة عشر حرفا يجمعها قولك (نص رحيم قاطع له سرٌّ)[24] .

(والكتاب الحكيم)، بدأت الآية بالقسم، (ذلك الكتاب الواضح محتواه، البين معارفه، الحيّ تعليماته، البناءة احكامه، الدقيقة برامجه وخططه)[25] .

ولابد ان يكون للقسم بالقرآن مقصد اراده الله تعالى منه، ونلاحظ أن الله تعالى وضح مقصودة من القسم في الآية التي بعدها بقوله تعالى { انا انزلناه في ليلة مباركة }، "والمبارك من مادة بَرَكة، وهو الربح والمنفعة

والخلود والدوام، وهو بيان عظمة القرآن بإنزاله في ليلة مباركة، ليلة ليست ككل الليالي، بل ليلة متميزة وقد حصرها المفسرون بليلة القدر، لقد فسرها أغلب المفسرين بليلة القدر، تلك الليلة العظيمة التي فيها مقدرات البشر بنزول القرآن الكريم، تلك الليلة التي تقدر فيها مصائر الخلائق، وظاهر الآية هو أن القرآن كله قد نزل في ليلة مباركة، وأعظم الليالي بركة، كشفت فيها بحقائق الأشياء"[26] .

والمقاصد ترتيبية، حيث بدأ الله تعالى بالقسم، وجعل القسم مقصود، وقد أشار إلى نزول القرآن في ليلة مباركة، وقد ذكر لنزول القرآن في هذه الليلة قصد معين، وهو الانذار للعباد في قوله تعالى { انا كنَّا منذرين] . لان سُنة الله سبحانه الدائمة هي ارسال الرسل لإنذار الظالمين والمشركين، " وكان إرساله نبي الاسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا الكتاب المبين افخر حلقة من هذه السلسلة المقدسة، وهو تأكيد جواب القسم وإظهاره مظهر العظمة"[27] .

ورغم أنّ مقصد الله تعالى قد بينه من نزول القرآن، لكنه لإتمام مقصده أخذ يوضح تلك الليلة بوصفها، فالآية { فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ)، " وصف وتوضيح ليلة القدر والتعبير بـ (يفرق) إشارة إلى كل الامور والمسائل المصيرية تقدر في تلك الليلة، والتعبير (بالحكيم) بيان لاستحكام هذا التقدير وعدم تغيره وكونه حكماً"[28]. وعن الإمام الباقر (عليه السلام)، يقول : " يُنزَّل فيها كل أمر حكيم، والمحكم ليس بشيئين، إنما هو شيء واحد، فمن حكم بما ليس فيه اختلاف فحكمه من حكم الله عز وجل، ومن حكم بأمر فيه اختلاف فرأى انه مصيب فقد حكم بحكم الطاغوت "[29]، " فحصل وصف الكتاب بخصائصه والتعريف بغرضه وإنزاله الى السماء"[30] .

وقال الطباطبائي في تفسيره " وقد عبَّر هذا المقصد بأنه تعبير عن مرحلتين، مرحلة الإجمال والابهام، والتي عبر عنها باللفظ (الحكيم)، ومرحلة التفضيل والكثرة والتي عبر عنها بـ (يفرق)" [31].

وقوله تعالى { أمرا من عندنا } هواستمرار تأكيد للمقصد الاساسي للنزول، وبيان السبب في ذلك، ليؤكد الله تعالى ذلك الشيء منزل منه لقصد معين . ففي قوله { أمرا من عندنا }، "حتى يبين أنَّ الارسال منه لقصد معين، لأجل بيان العلة الاساس لنزول القرآن وإرسال النبي (صلى الله عليه واله) وتحديد المقدرات في ليلة القدر، فبين تلك العلَّة والقصد في قوله تعالى { رحمة من ربك } وتلك الرحمة لاتحدُّ، توجب أن لا يترك العباد وشأنهم بل يجب أن ترسل إليهم التعليمات اللازمة لترشدهم في سيرهم إلى الله، عبر ذلك السير التكاملي المليء بالالتواءات والتوجهات "[32] .

الآيتان الاخيرتان في السورة التي كانت قد وضعت من ضمن المقصد الأول، الذي يتحدث عن القرآن الكريم وعظمته، فتتحدث الآيتان عن تيسير القرآن كما مبين في قوله تعالى { فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[الدخان : 58]، وقوله تعالى { فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ }[الدخان : 59] .

{ فانَّما يسرناه بلسانك ... } كانت الآيتان ختاماً للسورة، التي بينت الانسجام من خلال بداية السورة مع نهايتها، وما هو مبيَّن أيضا في البداية والنهاية، هو التأكيد على مواعظ القرآن ونصحه، وقوله تعالى { فانَّما يسرناه بلسانك }، فمازال الكلام عن القرآن الكريم وعظمة الله، وكيف أنَّه يغلق الحجج على من يريد أن يقدمها، فاتاهم بالقرآن بلسانهم حتى يفهم عندهم، فان محتواه عميق جدا وأبعاده مترامية لكنه بسيط واضح، يفهمه الجميع، وتقتبس من انواره كل الطبقات[33] . حتى اردفت هذه الآية بأية اخرى بعدها مباشرة بيَّن الله فيها أنَّ عدم الإذعان لمقصده في فهم وتناول القرآن، هو وعد بانتظار الهزيمة والخسران . وقد اكد مقصد الله تعالى بقوله الثقل الثاني المعادل للقرآن، وهم العترة المعصومون، وهم يؤكدون ذلك، وهذا ما أشار اليه الإمام الصادق (عليه السلام) " لو لا تيسيره لما قدر أحد من خلقه أن يتلفظ بحرف من القرآن، وانى لهم ذلك، وهو كلام من لم يزل ولا يزال "[34].

المقصّد الثاني : (المقاصد العقائدية)

مقاصد الآيَّات هي التوحيد ووحدانية الله سبحانه وبيان بعض مظاهر عظمته في عالم الوجود وارتباط الموت بالمعاد وتشمل أحدى عشرة آية من آيات سورة الدخان[35]، وهي قوله تعالى {رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ }[الدخان :7]وقوله { لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَيُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آَبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ}[الدخان :8]، وقوله {إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ } [الدخان : 31]، وقوله {إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ }[الدخان : 32]، وقوله {فَأْتُوا بِآَبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[الدخان :33]، وقوله {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ}[الدخان 34]، وقوله {مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [الدخان: 39] وقوله {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ}[الدخان : 40]، وقوله {يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ } [الدخان : 41]، وقوله { إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوالْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} [الدخان : 42]

يذكر الله تعالى هنا مقاصد تتعلق ببيان الأمور العقدية، بدأها بذكر صفاته تعالى (وبيان انَّه واحد، وكل ذلك لبيان مقصد التوحيد، فذكر في الآيات صفاته وهي، رب السموات والارض، يحي ويميت، رب ابائكم)[36] .

لانَّ كثيراً مِنْ المشركين يعتقدون بوجود آلهة وأرباب عديدين، وكانوا يظنون أن كل موجود من الموجودات إله، لكنَّ اللهَ تعالى حدَّد مقصودة بقوله { ربكم } ليبين أن رب النبي محمد (صلى الله عليه واله) غير رب الموجودات الاخرى، وهي إبطال لكل الأوهام بالجملة[37] .

وبين بعد ذلك، اي بعد القاء الحجة عليهم بصفاته وانه رب للسموات والارض وما بينهما، بقوله {إن كنتم موقنين }[38] أي ان كنتم ممن يطلب اليقين، والملاحظ وجود الجملة الشرطيّة في الآية الكريمة، التي تبعث على التساؤل، ولعل المراد من ذلك التساؤل أمران :

أولهما : إذا كنتم طلاب يقين، فان السبيل إلى ذلك هو أن تفكروا في ربوبية الله المطلقة .

والثاني : إذا كنتم من أهل اليقين فان أفضل مورد لتحصيل هذا اليقين هو أن تتفكروا في آثار رحمة الله .

وهوتأكيد على إنَّ حياتهم ومماتهم بيده، حيث يردف هذا المعنى بقوله تعالى { لا اله الا هو} فلا اله غيره يقوم مقام الربوبية ولا يكون أهلاً لها . فتعدُّ الآية جواباً لهم في حالة قولهم إنَّهم يعبدون الأصنام ويبررون عبادتهم لها بآبائهم، فعلاقتكم بآبائكم توحي عليهم أن لا يعبدوا إلا الله[39].

والذي نلاحظه أن مراد الله ومقصوده في بيان الصفات الالهية وبيان قضية الحياة والموت لأنَّها مهمة جدا بالنسبة للعباد، فلها أهمية فائقة من جهة، ولأنَّها إشارة ضمنيَّة إلى مسألة العبادة، وقد بيَّن الله عز وجل أنَّها من الافعال المختصة بالله تعالى؛ لأن مسألة الحياة والموت أكثر المسائل تأثيرا في حياة البشر ومصالحهم، وانَّها اعقد مسائل عالم الوجود واوضح دليل على قدرة الله تعالى[40] .

وتعدُّ الآيَّات السابقة تمهيد للدخول في مطلب مهم اراده الله تعالى من هذه الآيات، الاَ وهو مسالة الحياة والموت والنشأة الاخرى، وتعد الآيتان {إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ} [الدخان : 35]، وقوله تعالى {فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[الدخان : 36]، تكميلية لحالة جسدية للايات السابقة، التي لابد للفرد أن يؤمن بها فأشار إليهم بقوله إنَّ هؤلاء ليقولون إنْ هي الا موتتنا الاولى، وسوف لا نعود الى الحياة اطلاقا، وما يقوله محمد (صلى الله عليه واله) عن المعاد والحياة بعد الموت والثواب والعقاب والجنة والنار لا حقيقة له، فلا حشر ولا نشر ابدا[41].

ووقع الاختلاف بين المفسرين في مقصود الله تعالى من رجوع الضمير (هي)، هل يعود إلى الموتة أم يعود إلى العاقبة والنهاية ؟ وأرجعوه إلى أحد معنيين :

أحدهما : فمنهم من أرجعه إلى الموتة، وهو المستفاد من الكلام، وبناء على هذا يكون المعنى، ما الموتة الا موتتنا الاولى[42] .

والآخر : المختص برجوع الضمير إلى العاقبة والنهاية، وبهذا يكون المعنى (ما عاقبة امرنا الا الموتة الاولى)[43] .

وهذا الأمر مبني على جانب عقدي، فإنَّ المشركين يشيرون إلى الموتة الأولى لا غيرها وإنَّ مرادهم هو نفي الحياة بعد الموت، لا انكار الموت الثاني، وبتعبير اخر فإنَّ الانبياء كانوا يخبرون بالحياة بعد الموت، لا بالموت مرة ثانية[44] .

ولعل الاعتقاد عند المشركين مختلف بين فئة وأخرى، فبعضهم لم يكن يعترف بالله وبالمعاد وهو الذي يتحدث عنهم القرآن بانهم كانوا يقولون {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ }[سورة الجاثية : 24]، وبعضهم يعتقد بالله عز وجل ويعتقد ايضا ان الاصنام شفعاؤهم عند الله الا انَّهم كانوا ينكرون المعاد ويؤكده قوله تعالى {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ} [سورة يس : 78][45].

وهم يفرقون ببقاء الروح بشكل ما سواء على هيئة التناسخ وانتقال الارواح الى ابدان جديدة أم بشكل اخر، ولعلَّ الامور ذهبت اكثر من ذلك، من خلال الاعتقاد بأشياء هي التي تسيَّر معتقداتهم (فكانوا يعتقدون بطير اسمه (هامة) انبسط في جسمه وعندما يرحل الانسان عن هذه الدنيا او يقتل يخرج هذا الطائر من جسمه ويمر على جسده بصورة مرعبة، وان هذا الطائر يكون صغير في البداية ثم يكبر حتى يصبح بحجم البوم وهو يعيش دائما في خوف واضطراب[46].

لذلك فانَّ مقصد الله تعالى هو التركيز على أمور مهمة في حياة الانسان، ومنها الاعتقادات الخاوية الفارغة من محتواها العقلي والعلمي، لذلك قال رسول الله (صلى الله عليه واله) (لاهامة)[47] .

في الآيات التالية يركز الله تعالى على مقصد المعاد، وهذه الآيات هي قوله تعالى { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ}[الدخان : 38]' وقوله تعالى {مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[الدخان : 39]، وقوله تعالى {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ } [الدخان : 40]، وقوله تعالى { يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ }[الدخان : 41] وقوله تعالى {إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوالْعَزِيزُ الرَّحِيمُ }[الدخان : 42].

وهذه القضية مصيرية في حياة الإنسان، فيكررها تعالى، فلا بد من التصديق بالموت وإن كان الموت يزعجكم، لأنه ليس من الحكمة ولا العقل أن يخلق هذا الكون بدون هدف يسعى إليه خالق الكون[48] .

واستعمل الله في الآية لفظ (لاعبين)، ولفظ (لاعب) هي من مادة لعب، لعب فلان إذا كان فعله غير قاصد به قصدا صحيحا والتثنية (ما بينهما) من أجل أن المراد السماء والارض[49] . ولابد من التفكر في ذلك، وقد ذكر الله هذه الحقيقة مرارا في سور مختلفة كقوله تعالى { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ [سورة الأنبياء : 16] وقوله تعالى { قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ} [الأنبياء : 55] .

فهنالك غاية من الخلق وهناك عالمُ آخر يتبعه، وما يؤكد ذلك قوله تعالى {هو الذي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }[سورة يونس : 5] . إنَّ كون الخلق حقا يوجب له هدفاً عقلانياً وهذا الهدف لا يتحقق الا بوجود عالم آخر، فضلاً عن كونه حقا لا يتساوى اصحاب الاحسان والاساءة، فلابد من وجود عالم يتلقى فيه كل إنسان جزاء عمله خيرا أم شرا، وبيان الحق هوإشارة إلى الهدفية في الخلق واختبار البشر، وقانون التكامل وكذلك تنفيذ اصول العدالة .

وتستمر الآيات في تكاملها ليتضح المقصد منها الذي ابتغاه وخطط له الله تعالى، فيذكر أنَّ لنهاية الخلق وقفة أطلق عليها تسميات عدّة، وما اختاره في الآية هو يوم الفصل، في قوله تعالى { إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ }[50] . وهو(بيان لصفة اليوم الذي يثبته البرهان السابق وهو يوم القيامة، الذي فيه يقوم الناس جميعا لرب العالمين، وسماه يوم الفصل لأنَّه يفصل فيه بين الحق والباطل، وبين المحق والمبطل والمتقين والمجرمين، أو لأنَّه يوم القضاء الفصل منه تعالى[51] . فهو ميقات الجميع، وموعد للأقوام الماضية التي سفكت وقتلت، وعاثت في الارض فساداً . وفي هذا اليوم لا ينفع الناس إلا أعمالهم، ويؤكد ذلك في قوله تعالى {وْيومَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوالْعَزِيزُ الرَّحِيمُ } وهوبيان ليوم الفصل، والمولى هو الصاحب الذي له أن يتصرف في أمره والمولى الاول والثاني في الآية هوالثاني، والآية تنفي اغناء مولى عن مولاه يومئذ وترى انَّهم لا ينصرون، وإنَّ الاغناء فيما استغل المغني في عمله ولا يكون لمن يغني عنه صنع في ذلك، والنصرة انما تكون فيما كان للمنصور يعطي اسباب الظفر الناقصة، ويتم له ذلك بنصرة الناصر، والأصل في انتفاء الاغناء والنصر يومئذ أن الاسباب المؤثرة في نشأة الحياة الدنيا تسقط يوم القيامة، وقوله تعالى { إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوالْعَزِيزُ الرَّحِيمُ } استثناء من ضمير (إلا ينصرون) والآية من أدلة الشفاعة يومئذ، هذا على تقدير وجود ضمير (لا ينصرون) إلى الناس جميعا على ما هوالظاهر، وامَّا رجوع الى الكفار كما قيل فالاستثناء منقطع والمعنى راجع إلى رحمة الله، وهم المتقون فانهم في غنى عن مولى يغني عنهم وناصر ينصرهم[52].

المقصد الثالث : (مقاصد الترغيب ومقاصد الترهيب) :

وفي هذا المقصد يبيَّن الله تعالى أمرين :

الأول : يصف ما أعدّ للمؤمنين في الآخرة، نتيجة لأعمالهم وطاعتهم في الدنيا .

والثاني : العقوبات الإلهية التي أعدها للكافرين وغير المطيعين له في الدنيا .

وكلا الأمرين يبين الله تعالى حالة الثواب والعقاب المعدة، إمَّا لغرض الترهيب والترغيب للعباد وإمَّا لغرض الاستحقاق الذي أعده للعباد، وقد بدأ خطابه بالكافرين، الذين أنكروا وجود الله في الدنيا وأذوا الانبياء، وكانت الآيات التي خاطبهم بها ثماني آياتٍ، وهي {إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ }[الدخان : 43] {طَعَامُ الْأَثِيمِ}[الدخان : 44]، {كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ}[الدخان : 45]، {كَغَلْيِ الْحَمِيمِ} [الدخان : 46]، {خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ}[الدخان : 47]، { ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ} [الدخان :48]، {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}[الدخان : 49]، {إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ}[الدخان : 50] [53].

وتصف الآيات أنواعاً من عذاب الجحيم وصفا مرعبا، يبدأها بقوله تعالى { ان شجرة الزقوم طعام الاثيم}، فهويختار في مقصده لفظاً يناسب الشدَّة والقوة معهم، ولهم معرفة بها، لكي يطعمهم نبتة (الزقوم)، ذلك النبات المرُّ والقاتل والخبيث الذي له رائحة نتنة، وقد قال المفسرون عن تلك اللفظة (الزقوم)، إنَّا شجرةُ لها اوراق صغيرة وثمرها مرٌّ، خشنة اللمس منتنة الرائحة، نبتت في ارض تهامة من جزيرة العرب، كان المشركون يعرفونها، واذا اصابت البدن تورم' ويعتقد بعضهم أنَّ الزقوم في الأصل يعني(الابتلاع)[54] . ويقول الراغب :" إنَّها كل طعام خبيث في النار"[55] .

وجاء في الحديث " أنَّ الكلمة لمَّا نزلت في القرآن قال كفار قريش ما نعرف هذه الشجرة، فايَّكم يعرف معنى الزقوم ؟ وكان هناك رجل من افريقية قال : هي عندنا التمر والزبد، وربما قال ذلك استهزاء، فلما سمع ابو جهل ذلك قال مستهزءاً : يا جارية زقمينا ؟ فأتته الجارية بتمر وزبد، فقال لأصحابه، تزقموا بهذا الذي يخوفكم به محمد(صلى الله عليه واله)"[56] .

"وينبغي الالتفات ان الشجرة تأتي في لغة العرب والاستعمالات القرآنية بمعنى الشجرة احيانا وبمعنى مطلق النبات احيانا، والاثيم من مادة أثم، وهو المقيم على الذنب، والمراد هنا الكفار المعاندون المعتدون، المصرون على الذنوب والمعاصي المكثرون منها "[57] .

ويستمر الوصف للجحيم الذي أعدَّه الله تعالى، فيقول تعالى { كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم}، " أي وصف هذا الطعام، الذي يشبه درئ الزيت الاسود، يغلي في بطون الكفار ويكون كالماء الحار إذا اشتد غليانه" [58] . " وقرأ يغلي بالياء ابن عامر وحفص عن عاصم، والباقون بالتاء، من قرأ بالياء ردوه الى المهل، ومن قرأ بالتاء رده الى الشجرة، قال ابوعلي من قرأ بالياء حمله على الطعام، لان الطعام هو الشجرة في المعنى الاَ ترى انَّه خبر الشجرة، والخبر هو المبتدأ بعينه إذا كان مفردا في المعنى . ولا يحمل على المهل لانَّ المهل انما ذكر يشبه به المذاق، لان التقدير ان الشجرة الزقوم طعام الاثيم تغلي في البطون كما المهل على الجسوم"[59] ." والحميم هوالماء الحار المغلي، وتطلق احيانا على الصديق الوثيق العلاقة والصداقة والمراد هنا ه والمعنى الاول، وعلى اي حال فعندما يدخل الزقوم بطون هؤلاء فانَّه يولد حرارة عالية لا تطاق، ويغلي كما يغلي الماء، وبدل ان يمنحهم هذا الغذاء القوة والطاقة فانه يهبهم الشقاء والعذاب والمشقة"[60] .

وبعد الوصف الذي وصفه الله تعالى في الآيات الكريمة السابقة، يبدأ بتنفيذ ما قاله، من خلال خطابه لخزنة النار بقوله تعالى { خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ}[الدخان : 47]، وقوله {ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ}[الدخان : 48]، (فَاعْتِلُوهُ من مادة (العَتْل) وهي الاخذ والسحب والالقاء، وسواء : بمعنى الوسط، لان المسافة الى جميع الاطراف متساوية، واخذ امثال هؤلاء الاشخاص والقاؤهم في وسط جهنم باعتبار ان الحرارة اقوى ما تكون في الوسط، والنار تحيط بهم من كل جانب، ثم تشير الآية الى نوع اخر من العذاب الاليم الذي يناله هؤلاء فيقول، ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم، وهو من قبيل الاضافة البيانية، الى ان هذا الماء المحرق عذاب يصب على هؤلاء، وبهذا فانِّهم يحترقون من الداخل وتحيط بهم النار بكل وجودهم واضافة إلى ذلك يصب على رؤوسهم الماء المغلي في وسط الجحيم، وبعد كل انواع العذاب الجسمي هذا تبدأ العقوبات الروحية والنفسية، فيقال لهذا المجرم المتمرد العاصي الكافر { ذق انك انت العزيز الحكيم)} فانت الذي كنت قد قيدت البؤساء فباتوا بقبضتك تظلمهم كيف شئت وتعذبهم حيثما تشتهي، وكنت تظن انك قوي لا تقهر وعزيز لا يمكن أن تهان[61] . وجاء الحديث عن النبي (صلى الله عليه واله) (اخذ يوما بيد ابي جهل وقال : ((اولى لك فأولى)) فغضب ابوجهل وجرَّ يده وقال، بايِّ شيء تهددني، ما تستطيع انت وصاحبك ان تفعلا بي شيئا)، "والآية ناظرة الى هذا المعنى وتقول عندما يلقونه في جهنم يقولون له، ذق يا عزيز مكة وكريمها)[62] .

ثم ينتقل بنا المشهد إلى نوع آخر، ولكن ليس للعذاب الذي أعدَّه الله تعالى للكافرين . بل إلى مشهد جميل جداً أعدَّه الله تعالى للمؤمنين، جَسَّده في سبع آيات بينات، وهي {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ }[الدخان :51]، {فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ }[الدخان : 52]، {يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ}[الدخان : 53]، {كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ

عِينٍ}[الدخان : 54]، {يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آَمِنِينَ}[الدخان : 55]، {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} [الدخان : 56]، {فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُو الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[الدخان : 57].

تذكر الآيات النعم المعدَّة لأهل الجنة لتتضح أهمية كل منهما من خلال المقارنة بينهما، وقد لخصت هذه المواهب في سبعة اقسام[63] :

- إنَّ المتقين في مقام (أمين) : ولفظ امين ذكر وصفا للمقام فكأنَّ مقام اهل الجنة امين بنفسه ولا يخون اهل الجنة مطلقا، ومثل هذه التعبيرات تأتي عادة للتأكيد والمبالغة، وإنَّ المتقين في مقام امين، المقام محل القيام بمعنى الثبوت والركون، ولهذا فسر ايضا بموضع الاقامة، والامين صفة الامن بمعنى عدم اصابته بمكروه، والمعنى ان المتقين يوم القيامة ثابتون في محل ذي امن من اصابة المكروه مطلقا.
- { في جنات وعيون } :

إنَّ التعبير بالجنات اشارة الى تعدد الحدائق والبساتين التي يتمتع بها كل فرد من اهل الجنة أو اشارة إلى مقاماتهم المختلفة ودرجاتهم المتفاوتة لأنَّ حدائق الجنة وبساتينها غير متساوية .

- ملابسهم الجميلة { يلبسون من سندس واستبرق متقابلين } السندس يقال للأقمشة الحريرية الناعمة الرقيقة، واضاف البعض قيد كونها مذهبة، والاستبرق هي الاقمشة الحريرية السميكة .
- الحور : جمع حوراء أو احور، ويقال لمن اشتد سواد عينيه واشتد بياض بياضها، والعين جمع اعين وعيناء، أي أوسع العين، ولما كان اكثر جمال الانسان في عينيه فانَّ الآية تصف عيون الحور العين وتشير الى زوجاتهم، مثل قوله تعالى { كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ }[سورة الدخان : 54] .
- يدعون فيها بكل فاكهة امنين، فلا توجد في الجنة تلك المشكلات والصعوبات التي كانوا يعانونها في تناول فاكهة الدنيا فانِّها قريبة منهم وفي متناولهم .
- من تلك النعم الخلود في الجنة؛ لان الذي يقلق فكر الانسان عدم الوصال واللقاء بعد الفراق {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ }[سورة الدخان : 56]، والطريف ان القرآن يبيَّن انَّ نعمَ الجنة خالدة بتعابير مختلفة فيقول { أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ }[سورة آل عمران : 136] وقوله تعالى { وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ }[سورة هود : 108]

المقصَّد الرابع : (مقاصد الاعتبار)

بيّن هذا المقصد ثلاث معجزات لله تعالى، وهي من باب التذكر لأهل مكة . من خلال ما فعلوه بالنبي ومعارضتهم لله سبحانه في أحكامه، وقد بين الله تعالى المعجزات، على وفق منظورين :

الأول : بين حالتين سابقتين من العذاب الذي أنزله الله تعالى على أقوام، كان لأهل مكة معرفة بهم، إحداهما في مصر مع قوم فرعون، والاخرى في اليمن، التي كان لأهلها أواصر مع أهل مكة، ويمرّون عليهم في رحلاتهم .

الثانية : معجزة الدخان، التي اختلف فيها المفسرون، هل أنها حصلت أنيَّاً من خلال دعوة النبي محمد (صلى الله عليه واله) أم أنَّها ستحدث في الزمن المستقبل ؟، الزمن الذي أشار إليَّه المفسرون إنّه مختص في يوم القيامة، وما أعدَّه الله للعباد فيها .

ذكرت تلك المعاجز في أربع وعشرين آية من سورة الدخان، قُدِّمت معجزة بني اسرائيل، وقد بينها الله تعالى في سبع عشرة آية، وهي قوله تعالى {وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ }[الدخان : 17]، {أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ}[الدخان : 18] {وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ}[الدخان : 19]، {وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ }[الدخان : 20]، {وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ }[الدخان : 21]، { فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ}[الدخان : 22]، {فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ}[الدخان : 23]، {وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ }[الدخان : 24]، {كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ }[الدخان : 25]، {وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ}[الدخان : 26]، { وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ}[الدخان : 27]، { كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ}[الدخان : 28]، { فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ} [الدخان : 29]، { وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ}[الدخان : 30]، { مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ}[الدخان: 31]، { وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} [الدخان : 32]، {وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ }[الدخان : 33] .

القصة الأولى : هي قصة موسى (عليه السلام)، وسنتناولها على على وفق مشاهد، جاءت مرتبة على وفق نسق أحدهما مكمل للأخر، وهي :

المشهد الأول : كان بياناً للفتنة التي فتنهم بها، ويعني قبل كفار قوم النبي (صلى الله عليه واله)' وهي " تتحدث عن نموذج من المتمردين من المشركين وعدم إذعانهم للحق، وهي إشارة إلى نموذج من أمم ماضية سارت في نفس هذا المسير وابتليت أخيراً بالعذاب الأليم وهم (قوم فرعون)، أي اختبرناهم وشددنا عليهم بأن كلفناهم،

لان الفتنة شدة التعب في الاخذ بالسراء والضراء، واصلها الاحراق بنار اخلاص الذهب من الغش، لتخليصه من الشوائب، وقد اطلقت على كل امتحان واختبار يجري لمعرفة نسبة خلوص البشر فهذه شدة الاحراق للخلاص، وقيل الفتنة معاملة المختبر ليجازى به "[64] . وقوله تعالى { جاءهم رسول كريم} " أي حقيق بالتكريم في الدعاء إلى الله والبرهان الواضح والدليل القاهر حتى يسلكوا طريق الهدى المؤدي إلى ثواب الجنة ويعدلوا عن طريق الردى المؤدي إلى العقاب وقيل معناه كريم عند الله بما يستحق من الإكرام والطاعة، أي إني كريم على ما أوديه إليكم وادعوا لكم إليه "[65].

المشهد الثاني : هو بيان الخطاب من نبي الله موسى (عليه السلام) إلى قومه، ونصيحته لهم { وأن لا تعلوا في الارض }، قال ابن عباس معناه لا تفتروا على الله بالكذب، ومعناه لا تبتغوا عليّه بالكفر بالنعمة، وقيل معناه أن لا تتكبروا على الله بترك الطاعة واتباع أمره، وقيل معناه أن لاتبتغوا على أولياء الله بالبغي عليهم، أي عدم التعدي والابتغاء على الانبياء لانهم اولياء الله في الأرض، فهم كرماء من حيث الخلق والطبيعة، وكرماء من ناحية العظمة والمكانة عند الله[66] .

وقال الراغب " الكريم إذا وصف الله به فهواسم لإحسانه وإنعامه، وإذا وصف ربُّه الأنسانَ فهو اسم للأخلاق والافعال المحمودة التي تظهر منه "[67] .

{إني اتيكم بسلطان مبين } اي حجة واضحة لان السلطان الحجة والمبين الظاهر الذي مع ظهوره يظهر الحق فكأنه أظهره، ثم قال لهم { واني عذت بربي } الذي خلقني . وقال الشيرازي " أي تضربوني بالحجارة، فإنَّ الكفار كانوا يهددون الانبياء بالرمي بالحجارة إن استمروا في دعوتهم {وربكم} الذي خلقكم، {أن ترجمون }، قال : " ابن عباس وابوصالح الرجم الذي استعاذ منه موسى هو الشتم كقولهم هوساحر كذاب، وقال قتادة هو الرجم بالحجارة، { وإن لم تأمنوا لي فاعتزلون } أي لم تؤمنوا بي، فاللام بمعنى الباء، ومعناه وإن لم تصدقوني في أني رسول الله إليكم وأن ما ادعوكم إليه حق يجب عليكم العمل به فلا أقل من أن تعتزلوا بصرف اذاكم عني لأنَّكم إن لم تجازوا الاحسان بالاحسان فلا إساءة، وانما دعاهم إلى ترك معاملتهم بسوء إن أصروا على الكفر ولم يُقبلوا إلى الاديان لان هنا أمر يدعو إليه العقل ببديهة ولا يحتاج إلى برهان دعاء موسى ربه بعد أن يئس من قومه {أن هؤلاء قوم مجرمين } وقيل انه دعا بما يقتضيه سوء افعالهم واجرامهم وسوء معاملتهم له فكأنه قال اللهم عجل لهم ما يستحقونه بإجرامهم ليكونوا نكالا لمن بعدهم وما دعا بهذا الدعاء الا بعد إذن الله له في الدعاء عليهم[68] .

المشهد الثالث : في هذا المشهد، نجد الخطاب تحول وأصبح متوجاً من الله تعالى إلى النبي وقومه، ووضع خطوات لحركتهم، من خلال قوله { فأسر بعبادي } فهي عطف وقع جواب الدعاء وأمره الله تعالى

بأن يسير وأهله والمؤمنين به لئلا يروهم إذا خرجوا نهارا وأعلمه { أنكم منتقمون } أنه يتبعهم فرعون وقومه ويخرجون خلفهم وامره بأن [وَاتْرُكْ الْبَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ] أي ساكنا على ما هوبه من كثرته إذا قطعه ولا يرده إلى ما كان عليه . ويقال معناه أترك البحر يابسا وقيل طريقا يابسا، قال الازهري يقال جاء الخيل رهوا، أي تتابعه وقال ابن الاعرابي الرهو من الخيل والطير الراع، وانما قيل ذلك لأنه كان أمره أولا أن يضرب البحر بعصاه ليفلق فيه طريقا لقومه، ثم أمره بأن يتركه على الحالة الاولى ليغرق فيه فرعون وجنوده . ثم أخبره عن فرعون وقومه { بانهم جند مغرقون} أي سيغرقهم الله، وجاء في الكلام حذف لان تقديره أن موسى سار بقومه وتبعه فرعون وجنده وأن الله أهلكهم واغرقهم . ثم أخبر عن حالهم بأن قال { كم تركوا من جنات وعيون } يعني من بساتين لهم تركوها لم تنفعهم حين انزل بهم عذاب الله { وعيون } جارية لم ترفع عنهم عقاب الله { وزروع } جمع زرع ومقام كريم، قيل هوالمجلس الشريف وقيل مقام الملوك والأمراء والحكماء، وقيل المنازل الحسنة، وقال قتادة مقام حسن بهيج، وقال مجاهد وسعيد بن جبير هي المناظر وقيل المنابر، وقيل المقام الكريم، هو الذي يعطي اللذة كما يعطي الرجل الكريم الصلة[69] .

{ونعمة كانوا فيها فاكهين } فالنعمة بفتح النون التنعيم، وبكسرها منفعة يستحق بها الشكر، وإن كانت مشتقة لان التكليف نعمة وإن كانت فيه مشقة، ومعنى الآية إن كانوا متمتعين بالفاكهة بها بضروب اللذة كما يتمتع الاكل بضروب الفاكهة "[70]. { كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ } " فتوريثه النعمة إلى الثاني بعد الاول بغير مشقة كما يصير الميراث إلى أصله على تلك الصفة، توريث العلم شبه بذلك لان الاول تعب في امتزاجه وتوطئة الدلالة المؤدية إليه، ووصل إلى الثاني وهورافعه وادع، لم يكل لطول الفكر وشدة طلب العلم . فنعمة قوم فرعون وصلت بعد هلاكهم إلى غيرهم، كان ذلك توريثا من الله لهم، قال قتادة : يعني يحلُّ محلهم اخرين غير بني اسرائيل، لان بني اسرائيل رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون"[71] .

{فما بكت عليهم السماء والارض } قيل في معناه ثلاثة أقوال [72]:

الاول : قال الحسن فما بكى عليهم، حين اهلكهم الله اهل السماء واهل الارض لانهم مسخوط عليهم، مغضوب عليهم بإنزال الخزي عليهم .

الثاني : التقدير إنَّ السماء والارض لوبكتا على أحد إذا هلك، لما بكتا على هؤلاء لانهم ممَّن اهلكهم الله بالاستحقاق وانزل عليهم اجراً بما كانوا يكذبون، والعرب تقول : إذا ارادت أن تعظم موت انسان أظلمت الشمس وكسف القمر لفقده وبكت السماء والارض .

الثالث : انَّهم لم يبك عليهم ما يبكي على المؤمن إذا مات، ذكر ابن عباس وابن جبير ومعناه لم يكن لهم عمل صالح، وقال السدي لما قتل الحسين (عليه السلام) بكت السماء عليه وبكاؤها حمرة اطرافها، وقال الحسن ما بكى عليهم المؤمنون والملائكة بل كانوا بهلاكهم مسرورين .

وفي رواية عن الامام الصادق (عليه السلام)(بكت السماء على يحيى بن زكريا وعلى الحسين بن علي أربعين يوما، ولم تبك إلا عليهما، قلت وما بكاؤهما قال : كانت تطلع حمراء وتغرب حمراء[73].

المشهد الرابع : اختص بذكره عذاب فرعون وجنده ونجاة قوم موسى (عليه السلام)، وقد بين الله أنَّ عقابه ليس فيه مهلة عندما أنزله على قوم فرعون، وأوضح ذلك في قوله {وما كانوا منظرين }، وبعد بيان العقاب الالهي على قوم فرعون انتقل إلى جانب آخر، مختص بالمخلصين الذين رافقوا نبي الله موسى (عليه السلام) فبينه بقوله { ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين } وهو تأكيد بنجاتهم، أي خلص بني اسرائيل الذين امنوا بموسى من العذاب المهين، ممَّا فعله فرعون بهم، من الاستعباد وتكليفه لهم بحمل القاذورات وكنسها وتنظيفها، وكان خلاصهم باهلاك قوم فرعون، وعلى وفقهم للايمان بموسى[74] .

المشهد الخامس : هو أنتقال لبيان الصفات الخاصة بفرعون، التي دعت الله تعالى أن يسلط عليهم العذاب بلا مهلة، فقال إنه كان من المسرفين، أي متجبراً في الارض، وهذا ما ذكره في قوله تعالى {مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ }[75] .

المشهد السادس : هوختام لتلك المشاهد، وأوضح فيه اختيار الله لقوم موسى (بني إسرائيل) فالاختيار هو اختيار الشيء على غيره بالإرادة له لتفضيله عليه، ومثله الاشياء، وليس مجرد الارادة تفضيل شيء على غيره، لأنه قد يكون اختياره تفضيلا، واما أن يريد الاولى ولا يريد انه اولى فاختياره عليه لجهله بانه أولى او اختياره وه ويعلم انه غير اولى، وكان ذلك واضحا في قوله {وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ}[الدخان: 32]، وقوله {وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ}[76].

القصة الثانية :

وهي قصة قوم (تُبَّع)، وقد أشار اليها في قوله تعالى { أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ } . وقد وقع الخلاف بين المفسرين حول لفظ (تُبَّع)، فمنهم من قال إنَّهم ملوك في أرض اليمن الواقعة في جنوب الجزيرة العربية، وكان يحكمها ملوك يسمون بهذه التسمية، لأنّ قومهم كانوا يتبعونهم، واحد بعد الآخر . وكانوا مجتمعا قوياً في عدَّته وعدده، ولهم حكومة واسعة الاطراف . ولعل الاشارة في ذهاب

الكلام إلى قوم مكة، وتذكرة بذلك العذاب الذي مرَّ بقوم تُبَّع، وهو تهديد للمشركين، والاشارة إلى العذاب الذي ينتظرهم، وهو عذاب دنيوي، وليس اخروي، ومعلوم إن قوم مكة لهم معرفة ودراية على هذه الاقوام وما حلَّ بهم من العذاب الالهي[77] . وقال صاحب الميزان إنَّ تُبَّع من ملوك حمير باليمن، واسمه على ماذكروا أسعد أبوكرب، وقيل سعد كرب[78] .

القصة الثالثة :

هذه القصة التي ذكرها الله تعالى في سورة الدُخان، هي من القصص التي وقع فيها الخلاف، من حيث وجودها وعدمه، ومنهم من رجح أنَّ أمرها غيبي لم يتحقق إلى الان، بل قد إدخره الله تعالى إلى يوم القيامة، أو قبل يوم القيامة، ولعله من علاماتها، وقد ذكرت في سورة الدخان في ستة آيات، وهي { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ}[الدخان : 10]، { يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ } [الدخان : 11]، { رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ}[الدخان : 12]، { أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ}[الدخان : 13]، {ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ}[الدخان : 14]، {إِنَّا كَاشِفُوالْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ }[الدخان : 15]، {يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ} [الدخان : 16] .

وهي بيان وعد الله بايجاد معجزة تذهلهم، وبين الله السبب في ذلك وهو أنكار الانبياء[79]، والارتقاب: الانتظار وهو وعيد بالعذاب وهو اتيان السماء بدخان مبين يغشى الناس[80]، ويمكن أن نبيَّن ما توصل له العلماء وأهل الاختصاص في بيان حصول المعجزة وعدمها، ويمكن القول إنَّهم كان لهم اربعة اراء في ذلك :

الأول : هي المجاعة التي حصلت في زمن النبي محمد (صلى الله عليه واله)، أي حصلت في مكة، وسببها اصرار الكفار بكفرهم، وإيذائهم للنبي والمؤمنين، فدعا عليهم بقوله (اللهم سنين كسني يوسف)، فأجدبت الأرض وأصابت قريشاً مجاعة، وقلَّ المطر فاصبحت السماء فيها كالدخان وإنَّ قلة المطر تغطي السماء عادة اعمدة الغبار، وقد عبر عن هذه الحالة بالدخان؛ لان المطر يُنزل بالغبار إلى الارض ويصفوالافق[81] .

الثاني : إنَّ الدخان المذكور من اشراط الساعة وهولم يأت بعد، وهو ياتي قبل قيام الساعة فيدخل أسماع الناس حتى أن رؤوسهم تكون كالرأس الحنيذ، ويصيب المؤمن منه مثل الزكمة، وتكون الأرض كلها كبيت او قد فيه ليس فيه (خصاص) والخصاص الثقبة والفرجة، ويكون ذلك اربعين يوما، الدخان الغليظ الذي يغطي السماء في نهاية العالم، فهوعلامة لحلول لحظات الاخيرة لهذه الدنيا وبداية عذاب الله للظالمين والمفسدين[82] .

الثالث : إن المراد به هو يوم فتح مكة، حين دخل جيش المسلمين مكة فارتفع الغبار كالدخان المظلم[83] .

الرابع : وقيل الدخان يستعمل عادة في كلام العرب كناية عن الرعب والبلاء الذي يعم ويغلب[84].

وهذا الدخان { يغشى الناس } أي يشملهم ويحيط بهم والمراد بالناس اهل مكة على القول الاول، وعامة الناس على القول الثاني . {هذا عذاب اليم اكشف عنا العذاب } حكاية قول الناس عند نزول عذاب الدخان، أي يقول الناس يوم تأتي السماء بدخان هذا عذاب اليم، ويسألون الله كشفه بالاعتراف بالربوبية واظهار الايمان بالدعوة الحقة . {انى لهم الذكرى } اي من أين لهم أن يتذكروا ويذعنوا الى الحق، والحال انه قد جاءهم رسول مبين ظاهر في رسالته لا يقبل الارتياب وهو محمد (صلى الله عليه واله). { ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون } التولي الاعراض وضمير { عنه } للرسول، { ومعلم مجنون } ثم اعرضوا عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالوا هو معلم مجنون فرموه اولا بانه معلم يعلمه غيره فيسند ما تعلمه الى الله سبحانه، { انا كاشفوا العذاب قليلاً انكم عائدون }، أي انا كاشفوا العذاب زمانا، انَّكم عائدون الى ماكنتم عليه من الكفر والتكذيب، هذا بناء على القول الاول والآية تأكيد لرد صدقهم فيما وعدوه من الايمان واما على القول الثاني فالأقرب الى المعنى { إِنَّا كَاشِفُوالْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ [الدخان : 15] }[85] .

الاشكال الوحيد الذي يرد على تفسير أنَّ المعجزة مختصة بالقيامة، انَّه لا ينسجم مع جملة { انا كاشفوالعذاب قليلا انكم عائدون }؛ لأن العذاب الالهي لا يخفف عند انتهاء الدنيا او في يوم القيامة ليعود الناس الى حالة الكفر والمعصية، اما اذا اعتبرنا الجملة قضية شرطية فسيرتفع الاشكال حينئذ؛ لأن معنى الآية يصبح " لو كشفنا عنهم قليلا من العذاب فانهم يعودون الى طريقتهم الاولى "[86] .

اضافة إلى تفسير البطشة الكبرى بأحاديث يوم بدر بعيدا عن الصواب، لكن تفسيرها بعقوبات القيامة مع الآية تماما، والشاهد على الراي الثاني هو الروايات الواردة عن النبي الاكرم (صلى الله عليه واله) والتي تفسر الدخان بالدخان الذي سيملأ العالم على اعتاب قيام الساعة كالرواية التي يرويها حذيفة بن اليمان عن النبي (صلى الله عليه واله) بانه ذكر اربع علامات لاقتراب القيامة، الاولى : ظهور الدجال، والاخرى نزول عيسى (عليه السلام) والثالثة النار التي تظهر من ارض عدن، والدخان، فساله حذيفة يا رسول الله وما الدخان ؟ قال رسول الله (صلى الله عليه واله) { فارتقب يوم تأتي السماء بدخان } يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة، امَّا المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكمة، واما الكافر فبمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره[87].

وعن امير المؤمنين (عليه السلام) " ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : عشر قبل قيام الساعة لابد منها: السفياني، الدجال، الدخان الدابة، خروج القائم، طلوع الشمس من مغربها، نزول عيسى، خسف بالمشرق وخسف بجزيرة العرب ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر" [88] .

(الخاتمة)

بعد رحلةٍ لم تطل، ويا ليتها طالت في ربوع سورة من سور القرآن الكريم، ألا وهي سورة الدخان، أودُّ أن أضع حصاد رحلتي بين يدي القارئ الكريم :

- النظريّة النصيّة : ونحن نخوض في غمار هذا البحث لابد أن نسلط الاضواء على هذه النظرية بشيء من الايجاز، فمصطلح النص من مصطلحات اللغة، وقصد بمعناه اللغوي " النص : رفع الشيء، نص الحديث ينص نصاً، وكل ما أظهر فقد نص، ونصت الطبيعة جيدها : رفعته، ووضع على المنصة، أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور، والمنصة ما تظهر عليه العروس لتُرى، ونصصت المتاع إذا حملت بعضه على بعض، وأصل النص أقصى الشيء وغايته .

وبذلك فهذا العلم هو فرع من فروع علم اللغة، يقوم بدراسة النصوص سواء كانت منصوصة أو مكتوبة، بطريقة تتنظم معها اجزاء النص وترتبط فيما بينها لتخبر عن ماهومفيد .

- إنَّ المقاصد النصية في السورة المباركة تم تقسيمها إلى :

أ- شمل بداية السورة ونهايتها، وبدايتها بالحروف المقطعة، وقد تناولت بيان عظمة القرآن مع بيان نزوله .

ب- المقاصد العقدية، وشملت المعاد، والموت والحياة، ومشاهد القيامة .

ت- مقاصد الترغيب ومقاصد الترهيب، وذكرت مشاهد ما اعدَّه الله تعالى للمؤمنين، وما أعده الله تعالى للكافرين .

ث- مقاصد الاعتبار، وهي ذكر لبعض القصص، ومنها قصة موسى (عليه السلام) مع فرعون، وقصة قوم (تبَّع)، وقصة الدخان .

- المقاصد الثانوية، وكانت على شكل مشاهد تضمنها المقصد الرابع، والمتضمن القصص القرآنية، حيث تضمنت مشاهد الحوار بين الله تعالى ونبي الله موسى (عليه السلام)، وخطاب الله إلى قوم موسى (عليه السلام)، وخطاب نبي الله موسى (عليه السلام) مع قومه .

الهوامش

1 – الامثل في تفسير كتاب الله المنزل : ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الامام علي (ع)، قم، ط1، ه1426 . مجلد 117-116/16

2 – تفسير التحرير والتنوير : محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 2008، ط1، ص118، ينظر الامثل في تفسير كتاب الله المنزل : ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الامام علي (ع)، قم، ط1، 1426ه، مجلد 25/ 275

3- صفوة التفاسير : محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر، ط1، 1997، ج3 /172

4 – اسباب النزول : الواحدي النيسابوري، تحقيق كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1991،1م، 3/ 233.

5- المصدر نفسه : 233/3

6- بحار الانوار : محمد باقر المجلسي، مؤسسة الأعلمي للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2008، ص211، ينظر : تفسير الطبري : محمد بن جرير الطبري، دار هجر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2001 م، ص127

7- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل : ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الامام علي (ع)، قم، ط1، ه1426، 16/ 117

8- التبيان في تفسير القرآن: الطوسي، تحقيق احمد حبيب قصير العاملي، دار احياء التراث، بيروت، ط3، 1992،مجلد 223/9

9- تفسير الصافي : الفيض الكاشاني (ت- 1091ه) مكتبة الصدر، ط3، 1415ه، ص34

10- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور :ابراهيم الدين أبي الحسن البقاعي (ت- 885ه)، مكتبة المعارف الرياض، ط1، 1987م، ج2، ص213

11-التفسير المنير : وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1418ه، ط1، ص168

12- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور : 2/ 470

13- ثواب الاعمال : الشيخ الصدوق، تحقيق : محمد مهدي حسن الخرسان، مطبعة أمير – قم، 1365ه، 114/1

14- الدر المنثور : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911ه)، دار الفكر – بيروت – 1998م، ط1

15- التبيان في تفسير القرآن : 9 /72

16- المصباح المنير : احمد بن محمد بن علي الفيّومي (770ه)، ط1، المكتبة العلمية، بيروت، 504/2

17- مقاصد الشريعة الإسلامية : محمد الطاهر ابن عاشور، ط2، تحقيق : محمد الظاهر الميساوي، دار النفائس عمّان، 1999م

18- لسان العرب : ابن منظور، دار المعارف، مصر ط2، 1997م، مادة : ن ص ص .

19- ينظر علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق / دراسة تطبيقية على الصور المكية، د. صبحي ابراهيم الفقي، دار ضياء للطباعة، القاهرة، ط1، 1431، 1/ 25

20- الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الاعلمي، بيروت، 1997م، ط1،ج10، ص177

21- التاريخ الكبير : محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق حاتم الدوي، دار الفكر بيروت، ط3، ج3، ص93

22- تفسير التستري : ابومحمد سهل بن عبد الله التستري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1428ه . ص198

23- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : 16 / 132

24- نظم الدرر في تناسب الايات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885ه)، المطبعة الشرقية، مصر، 1323ه، ط1، 2/18

25- تفسير الصافي : الفيض الكاشاني، مكتبة الصدر ' بيروت، ط3، 1415ه، ج4، ص178

26- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل : 118/16
27- نظم الدرر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 18/ 43
28- المصدر نفسه : 18/ 44
29- الميزان في تفسير القرآن : 10/ 140
30- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل : 132/16
31- ينظر المصدر نفسه : 16 / 133
32- تفسير روح البيان : اسماعيل حقي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1387هـ، مجلد 8، ص131
33- ينظر الامثل في تفسير كتاب الله المنزل : 16/ 148
34- المصدر نفسه : 16/ 132
35- التبيان في تفسير القرآن : 72/9
36- ينظر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : 9 / 144
37- ينظر المصدر نفسه : 9/ 145
38- المصدر نفسه : 146/9
39- التبيان في تفسير القرآن : 72/9
40- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم، الالوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ ط2، ج18، ص215
41- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل : 16/ 132
42- المصدر نفسه : 9/ 133
43- شرح نهج البلاغة – ابن ابي الحديد المعتزلي : دار المعرفة، بيروت، 1992، مجلد 1، ص177.
44- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل : 132/9
45- بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب : محمود شكري الالوسي، دار الكتاب المصري، مصر، 1988، ط3، مجلد 2، ص311
46- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل : 16 /155-156
47- تفسير القمي : لابي الحسن علي بن ابراهيم القمي، مؤسسة الامام الهادي، بيروت، 2001، ط2، ص127
48- الميزان في تفسير القرآن : 10/ 149-150
49- مفردات غريب القرآن : مادة لعب .
50- الميزان في تفسير القرآن : 9/ 149-150
51- تفسير القمي : 127/3
52- تفسير الطبري :محمد بن جرير الطبري، دار هجر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2001م، ص529
53- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل : 118/16
54- المصدر نفسه : 16/ 162-163
55- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : 116/16
56- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل : 163/16
57- المصدر نفسه : 16/ 164
58- تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي، دار المعرفة بيروت، 1994م، مجلد 25، ص135
59- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل : 163/16

60- التبيان في تفسير القرآن : 9/ 229
61- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل : 167/16
62- ينظر المصدر نفسه : 168/9
63- ينظر المصدر نفسه : 169/9
64- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل : 16/ 165
65- مفردات القرآن : (مادة : كرم)
66- ينظر الامثل في كتاب الله المنزل : 16/ 165
67- تبيين القرآن : محمد الحسيني الشيرازي، دار العلوم، بيروت، ط3، 2003، ص510
68- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل : 165/9
69- ينظر المصدر نفسه : 166/9
70- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل : 165/16
71- الميزان في تفسير القرآن : 25/ 178
72- المصدر نفسه : 166/25
73- المصدر نفسه : 25/ 167
74- الامثل في كتاب الله المنزل : 16/ 163
75- المصدر نفسه : 16/ 164
76- ينظر الميزان في تفسير القرآن : 25/ 178
77- ينظر الامثل في كتاب الله المنزل : 25/ 163
78- ينظر الميزان في تفسير القرآن : 25/ 148
79- المصدر نفسه : 9/ 144- 145
80- الامثل في كتاب الله المنزل : 25/ 167
81- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم : شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ ط2، 18/ 215
82- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل : 25 / 149
83- المصدر نفسه : 25 / 167
84- التفسير الكبير : الفخر الرازي، دار المعرفة، بيروت، 1991م، مجلد 27، ص242
85- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل : 25/ 167
86- المصدر نفسه : 25/ 168
87- ينظر : المصدر نفسه : 25/ 159
88- بحار الانوار، المجلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998م، مجلد 52، ص209

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم .
- اساس البلاغة : جار الله، أبوالقاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري (538هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ط1
- أسباب النزول : علي بن أحمد بن محمد بن علي، الواحدي النيسابوري (468هـ)، تحقيق كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م
- اصول الفقه : وهبة الزحيلي، دار الفكر، بيروت، 1986م، ط1
- الأمثل في كتاب الله المنزل : ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الامام علي (ع)، قم، ط1، 2010م
- بحار الانوار : محمد باقر المجلسي (1037هـ)، مؤسسة الأعلمي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2008م
- بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، المجلس الوطني للثقافة، بيروت، ط1، 1992م
- بلوغ الارب في معرفة كلام العرب : محمد شكري الالوسي، دار الكتاب المصري، مصر، 1988م، ط3
- التاريخ الكبير : محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق حاتم الدَّوي، دار الفكر، بيروت، ط2، 2007 م
- التبيان في تفسير القرآن : أبوجعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي (460 هـ)، دار احياء التراث، بيروت، ط3، 1992م
- تبيين القرآن : محمد الحسيني الشيرازي، دار العلوم، بيروت، ط3، 2003
- التعريفات : هوأبوبكر، عبد القاهر بن عبدالرحمن الجرجاني (471هـ)، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1983م
- تفسير التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور (1393هـ)، الدار التونسية، تونس، ط1،
- تفسير التستري : ابومحمد سهل بن عبد الله التستري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1428هـ
- تفسير الصافي : الفيض الكاشاني (1091هـ)، مكتبة الصدر، بيروت، 1415هـ، ط3
- تفسير الطبري : محمد بن جرير الطبري (310هـ)، دار هجر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2001م
- تفسير القمي : لابي الحسن علي بن ابراهيم القمي، مؤسسة الامام المهدي، 2001م، ط1
- التفسير الكبير : الفخر الرازي (606هـ)، دار المعرفة، بيروت، 1991م، ط1
- التفسير المنير : وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1418هـ، ط1، 2008م

- تفسير روح البيان : اسماعيل حقي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1387هـ .
- تفسيرالمراغي : احمد مصطفى المراغي، دار المعرفة، بيروت، 1994م، ط1
- ثواب الاعمال وعقاب الاعمال : ابوجعفر محمد بن علي بن بابويه القمي، طليعة النور، مطبعة سليمانزاده، قم، 1431هـ .
- جمهرة اللغة : أبوبكر محمد بن الحسن ابن دريد (321هـ)، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ط1
- الدر المنثور : جلال الدين السيوطي (911هـ)، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1998
- دلائل الاعجاز : عبد القاهر الجرجاني (471هـ)، مطبعة المدني، مصر، ط3، 2008م
- روح المعاني : أبوالثناء الالوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1515هـ، ط2
- شرح نهج البلاغة : ابن ابي الحديد المعتزلي (655هـ)، دار المعرفة، بيروت، 1992م . ط2
- شفاء العليل في بيان الشبه والمخير ومسالك التعليل : ابوحامد الغزالي (505هـ)، مطبعة الرشاد، بغداد، 1997م، ط2
- علم لغة النص بين النظرية والتطبيق / دراسة تطبيقية على السور المكية : د. صبحي ابراهيم الفقي، دار ضياء للطباعة، ط1، 1431هـ، القاهرة
- الفكر المقاصدي قواعده وفوائده : الريسوني : منشورات جريدة الزمان، 1999م
- في النص الشعري العربي مقارنات منهجية : سامي سويدان، دار الادب، بيروت، 1989م، ط1
- كتاب العين : الخليل بن احمد الفراهيدي (174هـ)، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ط1
- لسان العرب : ابن منظور، دار المعارف، مصر، 1997م، ط1
- اللسان والميزان اوالتكوثر العقلي : طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1998م، ط1
- مجمل اللغة : أبوالحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني (395هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1986م
- المحيط والمحيط الاعظم : ابن سيّده، دار الكتب العلمية، بيروت، 200م، ط1
- مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه : محمد الاخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، ط1 .

- مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور : ابراهيم البقاعي، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1987م
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : احمد بن محمد بن علي الفيّومي (770هـ) المكتبة العلمية، بيروت، 2010 .
- معجم المصطلحات الادبية المتأخرة : عرض وتقديم سعيد علوش، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985م، ط1
- معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، اشراف شوقي ضيف، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004م، ط4
- معجم متن اللغة : احمد رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1960م
- المغني في ابواب التوحيد : عبد الجبار بن احمد، الشركة العربية، مصر، 1480هـ، ط1
- مفردات القرآن : الرغب الاصبهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م
- مقاصد الشريعة : محمد الطاهر ابن عاشور، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، قطر، 2004م، ط1
- مقاصد الشريعة : محمد سعد احمد اليوبي، دار هجر للنشر، جدة، 1998م، ط1
- مقاصد الشريعة الإسلامية : محمد الطاهر ابن عاشور، تحقيق : محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، عمّان، 1999م، ط2
- مقاييس اللغة : احمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هاون، دار الفكر، بيروت، ط1، 1979م
- مكاتب الرسول (صلى الله عليه واله) للشيخ علي الاحمدي الميانجي، دراسة في ضوء علم لغة النص، د. مؤيد الخفاجي، جامعة كربلاء، كلية التربية الانسانية، 2015م
- النص الادبي مكوناته وحدوده : هاشم يونس، اليرموك، العدد (71) سنة 2001 م
- النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي دراسة : محمد عزّام، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2001م .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : فخر الدين الرازي، المطبعة الشرقية، مصر، 1323هـ، ط1